

القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى الفرنسية للدكتور محمد حميد الله قراءة نقدية في ترجمة كلمة "حسبانا" أنموذجاً

The Nobel Qur'an and the translation of its meanings into
French by Dr. Muhammad Hamid Allah

Critical reading in translating the word (Husban) as a model

Baloul ahmed *

Tiaret University (Algeria)

بالول أحمد *

جامعة تيارت ابن خلدون (الجزائر)،

البريد الإلكتروني: ahmedbaloul73@gmail.com

ملخص:

القرآن الكريم كتاب معجز في نظمه ولغته وبلاغته وأصواته... وهذه الوجوه الإعجازية شكلت تحدياً لمترجمي معاني القرآن الكريم على مستوى اللغة المستهدفة، وبخاصة في جانبها البلاغي، وهو ما يرسخ فكرة عجز الترجمة عن أداء الوظيفة البيانية التي تؤديها لغة القرآن الكريم. ويؤكد جل الباحثين أن ترجمات القرآن الكريم تتفاوت درجتها وجودتها تبعاً لكفاءة المترجم. فإذا استطاع المترجم نقل الكلمات فإنه يعجز عن نقل دلالة أصواتها وقيمها التعبيرية.

ويسعى بحثنا هذا للكشف عن وجه آخر من وجوه الأخطاء الترجمية التي يقع فيها المهتمون بالترجمة، ألا وهو عدم الإحاطة بالمعنى الأصلي للألفاظ في اللغة المصدر، مما يترتب عليه آليا ترجمة غير مكافئة في اللغة المستهدفة. وعليه فإننا سنكتفي بمعالجة كلمة من الكلمات التي وقع تقصير في تعيين مدلولها - في نظرنا - أثناء ترجمتها إلى اللغة الفرنسية وهي كلمة حسبانا.

كلمات مفتاحية: الترجمة، التفسير، حسبانا، اللغة المصدر، اللغة المستهدفة.

Abstract:

The Nobel Qur'an is a miraculous book in its systems, language, eloquence and sounds...and these miraculous faces posed a challenge to the translators of the meanings of the Noble Qur'an at the level of the target language, especially in its rhetorical aspect, which consolidates the idea of the translation's inability to perform the rhetorical function performed by the language of the Nobel Qur'an. Most researches confirm that translations of the Nobel Qur'an vary in degree and quality

depending on the competence of the translator. If the translator is able to convey the words, he is unable to convey the significance of their sounds and their expressive values.

This research seeks to reveal another aspect of translation errors in which those interested in translation fall, which is the lack of awareness of the original meaning of the words in the source language, which automatically results in an unequivocal translation in the target language. Accordingly, we will be satisfied with treating one of the words that fell short in defining its meaning –in our view- during its translation into French , and it is the word of our mind.

Keywords: translation -interpretation -Husban -source language - target language.



1. مقدمة

عكف كثير من الباحثين قديما وحديثا على ترجمة القرآن الكريم، وتنوعت نياتهم بين راغب في معرفة مكوناته ونقلها لغير الناطقين بالعربية، وبين طامع في النيل من قدسية القرآن، واختلفت هذه الترجمات لغة وجودة؛ بناء على كفاءة المترجم فهما وإدراكا، ومعرفة بالحيط الثقافي، والبيئة العربية من جهة، وكفاءة لغته في استيعاب المعاني الواسعة والعميقة التي تحملها آيات القرآن المجيد من جهة ثانية. ولعل أشهر هذه الترجمات هي الترجمات الفرنسية التي بلغت ستاً وثلاثين ترجمة حسب ما ذكر الأستاذ محمد حميد الله في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية.

وتعد ترجمة الدكتور محمد حميد الله للقرآن الكريم من أحسن الترجمات مقارنة بالترجمات التي سبقته، ويشهد للدكتور كفاءته العلمية واللغوية في اللغة المصدر واللغة الهدف؛ بحكم مخالطته للمجتمع الأوروبي والفرنسي على وجه الخصوص، مما أهله لأن يكون متضلعا باللغة الفرنسية، إضافة إلى كفاءته في اللغة العربية. وبما أن أي عمل فردي لا يخلو من نقص وقصور، فقد أجريت بعض الاستدراكات والتعديلات على ترجمته، وسجلت بعض الملاحظات التي تستحق التقدير، ولا زالت التصحيحات تتوالى مما يجعل الباب مفتوحا لكل ملاحظة تسهم في تصويب الأخطاء الترجمة.

يقول الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ: "إننا لندرك أن ترجمة معاني القرآن الكريم -مهما بلغت دقتها- ستكون قاصرة عن أداء المعاني العظيمة التي يدل عليها النص القرآني المعجز، وأن المعاني التي تؤديها الترجمة إنما هي حصيلة ما بلغه علم المترجم في فهم كتاب الله الكريم، وأنه يعتريها ما يعتري عمل البشر كله من خطأ ونقص"⁽¹⁾.

ونحن في اجتهادنا البحثي هذا نسعى إلى كشف المساحة التي يقع فيها الخطأ الترجمي على مستوى اللغة المصدر، والمتمثل في جملة المعاني التي تطرحها المادة التفسيرية المتنوعة حول الكلمة الواحدة. مركزين في ذلك على ترجمة الدكتور حميد الله، بحكم خبرته العلمية، وكفاءته اللغوية، ومراسه الطويل مع اللغات الأجنبية.

(1) صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ: مقدمة، القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1420هـ، ص: 01.

2. نبذة مختصرة عن الدكتور محمد حميد الله:

محمد حميد الله الحيدري، (1326هـ، 1908م/2002، 1423م)، أحد أعلام الثقافة العربية الإسلامية الكبار في العصر الحديث، هو محدث وفقه وأحد كبار العلماء والدعاة الذين أنجبتهم شبه القارة الهندية بصورة عامة. حاصل على دكتوراه في الفلسفة، كما حصل على درجتي الدكتوراه في السيرة النبوية من جامعتين مختلفتين، أحدهما من جامعة باريس، والأخرى من جامعة توينجن بألمانيا. قضى ما يقرب من نصف عمره بالبحث والتحقيق في أوروبا ودول الشرق الأوسط. كاتب غزير الإنتاج، وله العديد من الدراسات الأكاديمية والأعمال الواسعة في العلوم الإسلامية، والتاريخ والثقافة غير المسبوقة في القرن الماضي، وقد تم نشرها بعدة لغات مع آلاف المقالات في المجلات العلمية. وكان أول مسلم يقدم ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الفرنسية، والتي تعد من أفضل ترجمات معاني القرآن على الإطلاق، كما قام بترجمة تفسير القرآن الكريم للعديد من اللغات الأخرى. يتحدث الكثير من اللغات بطلاقة مثل: الأردنية (لغته الأم)، الفارسية، العربية، الفرنسية، الإنجليزية، الألمانية، الإيطالية، اليونانية، التركية، الروسية وغيرها، تصل إلى 17 لغة، حتى أنه تعلم اللغة التايلاندية وهو في الأربع والثمانين من عمره. وله مؤلفات قيمة بهذه اللغات يبلغ عددها أكثر من 250 كتاباً. وله مئات المقالات في القرآن، والسيرة النبوية، والفقه والتاريخ والحقوق والمكاتب وغيرها⁽¹⁾.

3. مفهوم الترجمة:

1.3 الترجمة لغة: تدل على التفسير والنقل، فقد جاء في لسان العرب: التَرْجُمَانُ والتَّرْجَمَانُ المفسر للسان، والتَرْجُمَانُ والتَّرْجَمَانُ بالضم والفتح هو الذي يُترجم الكلام؛ أي: ينقله من لغة إلى لغة أخرى والجمع التَّرْجَم، والتاء والنون زائدتان، وقد تَرَجَّمَهُ وتَرَجَّمَ عَنْهُ. وفي حديث هرقل قال لَتَرْجُمَانَهُ⁽²⁾ التَرْجُمَانُ بالضم والفتح هو الذي يُترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة⁽³⁾.

(1) ينظر: محمد حميد الله، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org>

(2) الحديث: عن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ثم قال لترجمانه قل لهم إني سائل هذا فإن كذبتني فكذبوه فذكر الحديث فقال لترجمان قل له إن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين.

وتأتي كلمة ترجم بمعنى الوضوح والبيان ، قال الفيومي في المصباح: "وترجم فلان كلامه إذا بينه وأوضحه وترجم كلام غيره إذا عبر عنه بلغة غير لغة المتكلم واسم الفاعل ترجمان"⁽⁴⁾.
وقد وردت كلمة (ترجمان) في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه؛ فاتقوا النار ولو بشق تمرة"⁽¹⁾.

2.3 الترجمة اصطلاحاً:

الترجمة اصطلاحاً هي: "التعبير من معنى كلام في لغة بكلام آخر في لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده"⁽²⁾.

وذكر في تعريف آخر أنها: "فهو نقل الكلام من لغة إلى أخرى عن طريق التدريج عن الكلمات الجزئية إلى الجمل والمعاني الكلية"⁽³⁾.

ومن هذه التعريفات استنتج بعض العلماء الملاحظات التالية⁽⁴⁾:

1 - الترجمة نقل للكلام، فبينما يكون الكلام في لغة من اللغات، يتحول عن طريق الترجمة إلى لغة أخرى.

-
- البخاري: الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة بيروت، (ط3)، 1987م، باب ترجمة الحكم وهل يجوز ترجمان واحد، الحديث رقم: (6771)، 2632/6.
- (3) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، (ط3)، 1414هـ، مادة (ترجم).
- (4) الفيومي (أحمد بن محمد)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، (دط) (دت)، مادة (ترج) 73/1.
- (1) البخاري: الجامع الصحيح المختصر، باب كلام الرب عز وجل مع الأنبياء وغيرهم، الحديث رقم: (7074)، 2729/6.
- (2) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر - بيروت، (ط1)، 1996، 79/2.
- (3) البوطي محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، مؤسسة الرسالة، بيروت، (دط)، 1999 م، ص: 230.
- (4) مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية، دمشق، سوريا، (ط2)، 1998 م، ص: 259.

- 2 - يشترط في الترجمة الوفاء بجميع معاني الأصل ومقاصده، ولذلك يتم فيها استيفاء الكلام المترجم كلمة كلمة، والملاءمة بينها وبين المعنى الأصلي للنص.
- 3 - انحصار معنى الترجمة عرفاً واصطلاحاً في المعنى الرابع من معانيها اللغوية، وهو نقل الكلام من لغة إلى أخرى.
- 4 - يفهم من الترجمة أنها كالأصل تقوم مقامه وتأخذ اسمه.
4. حدود ترجمة القرآن:

تنازع العلماء قديماً في حكم ترجمة القرآن الكريم بين مانع ومجيز، "فقرر ابن قتيبة وغيره من العلماء أن كل كلام بليغ لا يمكن ترجمته ببلاغته من لغة إلى أخرى؛ ذلك أن الكلام البليغ له معنيان مجتمعان، أحدهما أصلي، وهو المقصد الذي انبنى عليه الكلام، وما سبق له من قصة أو حكم أو عظة. والثاني بلاغي، وهو إشارات الكلام ومجازاته، وما يثيره من صور بيانية، وما يحيط به من أطياف، كالتي تحيط بالصور الحسية، وبهذا كله تعلق الرتب البلاغية، ويسمو البيان. وبتطبيق هذه القاعدة على القرآن الكريم وهو في درجة من البلاغة لا ينهد إليها أي كلام إنساني قط، فإن ترجمته مستحيلة على أن يكون قرآناً فيه كل خواصه البلاغية"⁽¹⁾.

قال الشاطبي في الموافقات: "وإذا ثبت هذا، فلا يمكن من اعتبار هذا الوجه الأخير أن يترجم كلاماً من الكلام العربي بكلام العجم على حال، فضلاً عن أن يترجم القرآن وينقل إلى لسان غير عربي، إلا مع فرض استواء اللسانين في اعتباره عينا، كما إذا استوى اللسانان في استعمال ما تقدم تمثيلاً ونحوه، فإذا ثبت ذلك في اللسان المنقول إليه مع لسان العرب، أمكن أن يترجم أحدهما إلى آخر، وإثبات مثل هذا بوجه بين عسير جدّاً، وربما أشار إلى شيء من ذلك أهل المنطق من القدماء ومن حداّ حذوهم من المتأخرين، ولكنّه غير كاف ولا مغنٍ في هذا المقام"⁽²⁾.

أما ترجمة معاني القرآن الكريم في عصرنا الحاضر فقد صار ضرورة لدواع علمية ودعوية وحضارية، في ظل الهجمات البغيضة على الإسلام والمسلمين؛ لذلك عدها كثير من العلماء وسيلة من وسائل تبليغ دين الله وبيان

(1) أبو زهرة (محمد بن أحمد) (ت1394هـ)، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، (دط) (دت). ص: 417.

(2) الشاطبي (إبراهيم بن موسى): الموافقات، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة بيروت، لبنان، (دط) (دت)، 68/2.

أحكامه وحدوده، ودفع كثير من الشبهات التي أحاطت به من كل جهة، شرط أن يقوم بما من يحسنها ويلتزم بضوابطها⁽³⁾.

5. الدراسة التطبيقية:

في هذه الدراسة التطبيقية سنقتصر على تحليل كلمة (حسانا) الواردة في سورة الكهف، والتي اختلف المفسرون في تعيين مدلولها على وجه الدقة، وحتى المعاجم العربية في معرض نقلها لجملة الدلالات التي تحملها المادة اللغوية ذكروا معاني عدة، وهذا ما ترتب على الترجمة التي جنحت إلى اختيار عموم ما تدل عليه الكلمة في إطار السياق الذي وردت فيه؛ وهو العذاب أو البلاء أو المصيبة.

قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: 32].

الآية سيقت في موضع الاعتبار، فهي "تسليّة للفقراء المتوكلين على الله تعالى وتنبيه للأغنياء المغرورين"⁽¹⁾، وإن كانت قد نزلت في حق شخصين أحدهما مؤمن والآخر كافر فهي عامة في كل من اتصف بهما.

وكما اختلف المفسرون في تحديد الشخصين اللذين جرى الحوار بينهما، كونهما من العرب أو من بني إسرائيل، اختلفوا كذلك في موضع الجنتين أين كانتا؟ بالطائف أو بالشام، وإن كان القلب يطمئن إلى رواية ابن عباس التي ترجح أنهما من بني إسرائيل، لكون كثير من القصص التي سيقت في موضع الاعتبار وقعت في أمة بني إسرائيل، كما أن ابن عباس مشهود له بنص الحديث علمه بتأويل القرآن، أضف إلى ذلك أن الرواية التي ذكرت أن الشخصين المقصودين في الآية من العرب ومكان الجنة كان بالطائف هي رواية لا تقوم على أساس ثابت، لا من كتب الحديث، ولا من غيرها، حيث تساق هذه الروايات بعبارة (وقيل) وهو ما يدل على أنها مجهولة المصدر.

(3) ينظر: محمد محمود كانو، ترجمة القرآن الكريم بين الحظر والإباحة، جمعية دار البر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، (ط1)، 2001م، ص: 97 وما بعدها.

(1) الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان (د ط) (د ت)، 309/15.

وبعد وصف الجنيتين وصفاً ساحراً نقلتنا سورة الكهف إلى موضوع الحوار الذي جرى بينهما ، وما يهمنى منه هو المقطع الأخير ، وهو قوله عز وجل على لسان الرجل المؤمن: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف:40]. حيث ترجمها الدكتور حميد الله على النحو الآتي⁽²⁾:

40. il se peut que mon Seigneur, bientôt , me donne quelque chose de meilleur que ton jardin, qu'il envoie sur [ce dernier], du ciel, quelque calamité, et que son sol devienne glissant,

وقد فهمت كلمة (حسباناً) على أنها عذاب، أو بلاء، أو مصيبة، أو كارثة؛ لذلك ترجمت بـ "calamité" ؛ ولعل المترجم تقيّد بما جاء في معجم المحكم والمحيط الأعظم الذي يذكر أن الحسبان: العذاب والبلاء.. قال أبو زياد الحسبان، شر وبلاء.⁽³⁾

ويلاحظ أن الدكتور حميد الله (رحمه الله) في حالة اختلاف دلالة الألفاظ عند أصحاب المعاجم، أو عدم تعيين الكلمة على وجه الدقة، فإنه ينعز إلى عموم اللفظ ، كما هو الشأن في كلمة حسباناً. وقد يكون معذوراً ؛ لأن المفسرين أنفسهم لم يحددوا دلالة واضحة لكلمة (حسباناً) ؛ فقد جاء في تفسير الطبري أن ﴿حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بمعنى : عذاباً من السماء ترمي به رمياً، وتقذف. والحسبان: جمع حسبانة، وهي المرامي⁽¹⁾.
ويفسر الزمخشري والرازي الحسبان بالمرامي ، واحدها حسبانة وهي الصواعق⁽²⁾. أما ابن عطية فيفسر الحسبان بالعذاب كالبرد والصر ونحوه ، واحد الحسبان : حسبانة ، وهي المرامي من هذه الأنواع المذكورة ، وهي أيضاً سهام ترمي دفعة بآلة لذلك⁽³⁾.

(2) القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية ، الدكتور محمد حميد الله، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية، ص: 298.

(3) ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندواي دار الكتب العلمية (ط 1) ، بيروت ، لبنان 2000م، مادة (حسب).

(1) الطبري (محمد بن جرير): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة (ط1) 2000م، 25/18.
(2) ينظر: الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي) : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان (د ط) (د ت) 676/2.

قال ابن عاشور: الحسبان : مصدر حسب كالغفران . وهو هنا صفة لموصوف محذوف ، أي هلاكاً حسباناً ، أي مقدراً من الله ، كقوله تعالى : ﴿عطاء حسباناً﴾ [النبا: 36] ثم يذكر المعاني نفسها التي ذكرها المفسرون السابقو الذكر ، و يردف قائلا: والمعاني الأربعة صالحة هنا⁽⁴⁾.

ولم تكن المعاجم العربية بمنأى عن هذا الاختلاف في تحديد مدلول كلمة حسبان ، ففي معجم العين جاء في معنى قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ ؛ أي: نارا تحرقها⁽⁵⁾. وفي جمهرة اللغة : " الحُسبانُ الذي يرمى به، هذه السهام الصغار.. وقد جاء في التنزيل: (حُسباناً من السماء) . قال أبو عبيدة: عذاباً، ولا أدري ما أقول في هذا"⁽⁶⁾؛ يقصد أنه لا يعلم مدلولها الحقيقي.

غير أن بعض المعاجم حاولت أن تقترب من المعنى الحقيقي للفظ ؛ ففسرت الحسبان بالبرد دون جزم ، فقد جاء في تهذيب اللغة تعقيبا على الآية ﴿وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ حيث يقول الأزهري : "القول ما قاله الأخفش وابن الأعرابي وابن شميل: والمعنى والله أعلم ، أن الله يرسل على جنّة الكافر مرامي من عذاب، إما برد وإما حجارة أو غيرهما مما شاء فيهلكها ويبطل غلتها وأصلها"⁽¹⁾.

وذكر ابن منظور في اللسان أن الحسبانة تطلق على الصّاعقة وعلى السّحابة ، ثم يذكر ما ذكره أصحاب المعاجم من معان دون تحديد للمعنى الحقيقي للفظ⁽²⁾.

(3) ابن عطية (عبد الحق بن غالب): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، لبنان (ط1) ، 1993م، 518/3.

(4) ينظر: ابن عاشور (محمد الطاهر) : التحرير والتنوير ، دار سحنون ، تونس (د ط) (1997 م)، 325/15.

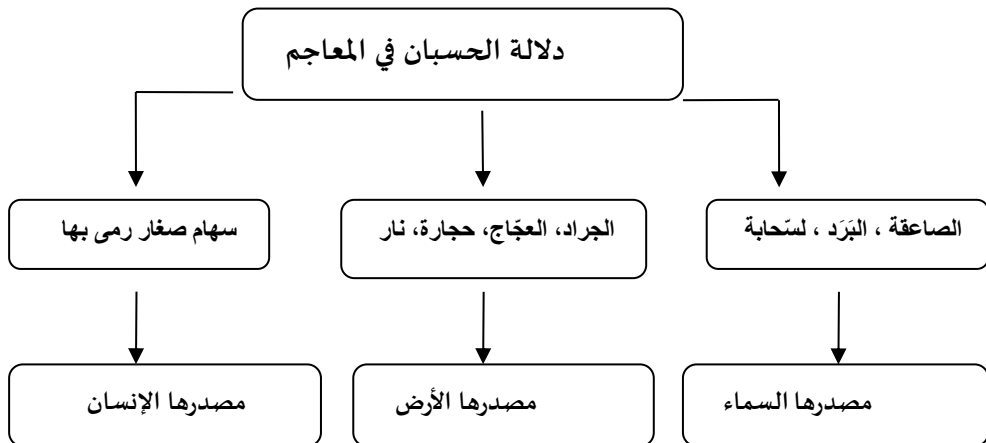
(5) الفراهيدي (الخليل بن أحمد) : معجم العين ، تحقيق: مهدي المخزومي ن إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال (د ط) (د ت) باب (الحاء والسين والباء).

(6) ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن) : جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان (ط1) 1987م، مادة (حسب).

(1) الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد) : تهذيب اللغة ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان (ط 01) (2001م) مادة (حسب).

(2) ينظر: ابن منظور : لسان العرب، مادة (حسب).

أما ابن فارس فيذكر في مقاييسه أن "(حسب) أصول أربعة...ومن هذا الأصل الحسبان: سهام صغار يرمى بها عن القسي الفارسية، الواحدة حسبانة. وإنما فرق بينهما لصغر هذه وكبر تلك. ومنه قولهم أصاب الأرض حسبان، أي جراد. وفسر قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف 40]، بالبرد⁽³⁾. وإذا أحصينا جملة الألفاظ الواردة في المعاجم والتفاسير في تحديد مدلول حسباناً، فإننا نجد أنها محصورة وفق المخطط الآتي:



وإذا علمنا أن الآية تحدثت عن عذاب من قبل السماء لا من قبل الأرض، ولا من قبل الإنسان. تأكد لدينا أن المقصود بالحسبان إما السحابة ذاتها، أو ما يصدر منها من صاعقة، أو برد أو مطر، أو ثلج، ولا يحتمل غير ذلك.

وقد خصَّ الله السماء بالذكر؛ لأن ما جاء من الأرض من سيول، أو نيران، أو ما شاكلها يمكن دفعه بالوسائل الممكنة والمتاحة؛ لكن ما نزل من السماء يصعب دفعه.

وإذا كان عنصر الحجارة حاضراً في التفسير، والمعاجم على السواء؛ فإننا نرى أن المقصود بالحسبان هو البرد؛ لكونه يمتلك صفة الحجارة في شكله ومادته الصلبة، وهو ما يثبتته أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي

(3) ابن فارس (أبو الحسين أحمد): مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (د ط) 1979م، مادة (حسب)

(المتوفى : 224هـ) بقوله: ﴿حَسْبَانَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ يعني بردا بلغة حمير⁽¹⁾. فاللفظة في أصلها عربية جنوبية وهذا دليل واحد.

والدليل الثاني على صدق ما رجحناه أن الله أعقبها بقوله عز وجل ﴿فَتَصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ والصعيد الزلق هو الأرض البيضاء الملساء التي لا تثبت عليها قدم ؛ أي: تزلق من يمشي عليها⁽²⁾. والأرض البيضاء التي تزلق لا تكون إلا من ثلج أو جليد أو برد.

ولكننا لا نرجح أن يكون المقصود بالحسبان الثلج ؛ لأن الثلج لا يكون عذاباً إلا في حالات نادرة جداً ، كما أن الجليد منافعه كثيرة فهو يعتبر مصدراً مهماً للماء، وعندما يذوب في الجبال، فإنه يوفر الماء لكل من الأنهار ومحطات توليد الكهرباء من القوة المائية وخزانات الري. ويعمل الجليد أيضاً عازلاً جيداً ، ويساعد على حماية النباتات وحيوانات السبات الشتوي من هواء الشتاء البارد⁽³⁾.

وعليه لم يبق إلا عنصر البرد الذي يكون في الغالب مصيبة وعذابا ، ولا يكون رحمة إلا حين يصرف عن الخلق. وفي هذا الصدد يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبَ بِالْأَبْصَارِ ﴾ [النور: 43].

قال ابن عاشور: "قوله: (فيصيب به من يشاء) جعل نزول البرد إصابة ؛ لأن الإصابة إذا أطلقت في كلامهم دلت على أنها حلول مكروه . ومن ذلك سميت المصيبة الحادثة المكروهة" (1).

(1) أبو عبيد القاسم بن سلام : لغات القبائل الواردة في القرآن www.chamila.com .

(2) الرازي (فخر الدين محمد بن عمر التميمي) : التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (ط1) (1421هـ ، 2000م) 109/21 ، القرطبي (عبد الله محمد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان (د ط) 1985م، 408/10 ، ابن عادل (أبو حفص عمر بن علي الدمشقي) : اللباب في علوم الكتاب ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (ط1) (1419 هـ ، 1998 م)

(3) الموسوعة العربية العالمية، تأليف مجموعة من العلماء والباحثين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، (ط2)، الرياض، 1999م، موضوع الجليد..435/8.

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 262/18.

وقال الألوسي: "فيصيب به ؛ أي: بما ينزل من البرد من يشاء ؛ أي: يصيبه فيناله ما يناله من ضرر في ماله ونفسه ويصرفه عن من يشاء أن يصرفه عنه فينجو من غائلته . ورجوع الضميرين إلى البرد هو الظاهر⁽²⁾ . والبرد كما هو معلوم مطر جامد ينزل من السماء على شكل كتل جليدية كروية، أو غير منتظمة، وتسمى هذه الكتل حبَّ البرد. ويتراوح حجم هذه الكتل، بين حجم حبة البازلاء، وحجم البرتقالة، ويمكن أن يكون أكبر من ذلك . يبلغ متوسط قطر حبة البرد أقل من 2,5 سم . أمَّا الحبات الكبيرة، فتوجد على سطحها نتوءات تجعلها أكبر . ويمكن لحب البرد أن يكسر زجاج النوافذ، وأن يتلف الأسطح، وأن يبعج أجسام السيارات، والطائرات . كما يمكن أن يحدث البرد أضراراً بالخاصيل الزراعية. ويكون هذا الضرر أكبر، إذا كانت الرياح قوية. وتسقط حبات البرد نحو الأرض بسرعة 35 كم في الساعة أو بسرعة أكبر⁽³⁾ .

(الصورة تظهر حجم حبات البرد التي تكون بلاء)



والدليل الثالث أن الله ذكر بعد ذلك صفة الخراب الذي حل بجنته فقال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّهُ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: 42]. والمعنى : أتلّف ماله كله بأن أرسل على الجنة والزرع حسباناً من السماء فأصبحت صعيداً زلقاً وهلك أنعامه وسلبت أمواله⁽¹⁾.

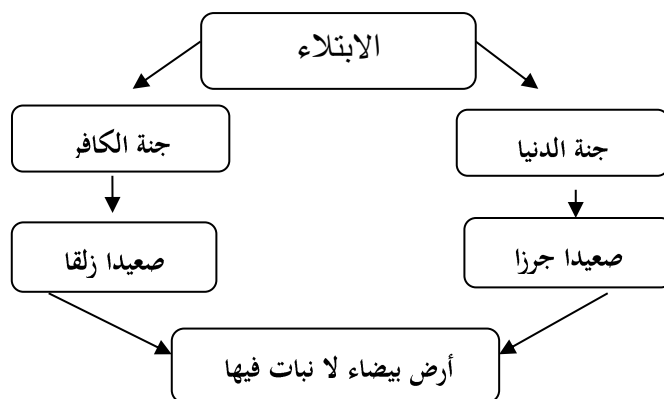
(2) الألوسي : روح المعاني، 18/191.

(3) الموسوعة العربية العالمية، موضوع البرد. 317/4.

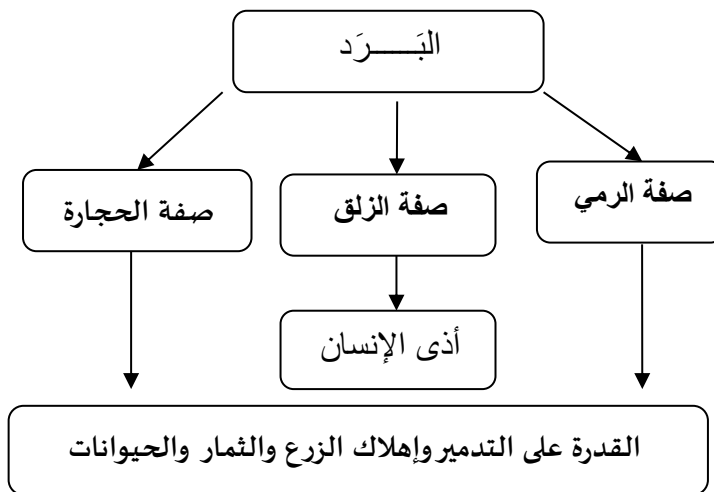
(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 15/326.

ومن حيث الاشتقاق فإن لفظ حسابان مشتق من مادة (حسب)؛ وهي مقلوب مادة (سحب) ، وفي اللغة العامية الجزائرية يقال: (السحاب) ويقصد به البرد الذي يتلف ويدمر كل ما يصادفه. وقد أُحصيت كثير من الألفاظ العامية التي ترجع في أصلها إلى اللغة العربية الجنوبية.

والشيء الذي لم يلتفت إليه المفسرون أجمعون هو أن الحوار الذي جرى بين الرجلين وما أصاب الجنة من خراب ، كله مرتبط دلاليا مع الآية السابقة ، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا • وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف:07،08] فالآية السابعة والثامنة وصف عام ، والآية الثانية والثلاثون من نفس السورة إلى غاية الآية الأربعون وصف خاص لتعلق الإنسان بزينة الحياة ، وهو ما حدث لصاحب الجنتين حيث تعلق قلبه بالنعم التي وهبها الله إياها حتى ظن أنه لا سبيل لزوالها ، ولا طريق لتحويلها.



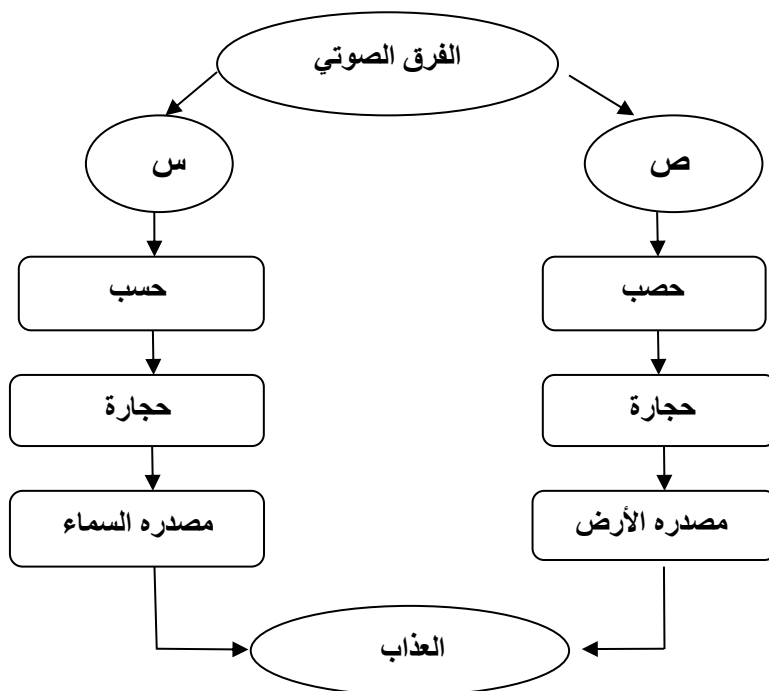
وعليه فإننا نرى أن كلمة حسابانا تترجم إلى (la grêle) لكون البرد يتصف بالصفات الآتية:



وقد لا حظنا من خلال بحث سابق⁽¹⁾ أن مادة (حصب) تشترك مع مادة (حسب) في الدلالة على الحجارة ، ولما كان لفظ الحصب مصدره من الأرض استعير له حرف (الصاد)؛ للدلالة على القوة والشدة ، كما أن مادة (حصب) ترجع إلى الجذر الثنائي الأصلي (حص)، ثم بني منه مادة (حصى) وهي حجارة صغيرة. أما لفظ الحسب فاستعير له حرف (السين) لخفته وخفائه ، كما أن مادة (حسب) ترجع إلى الجذر الثنائي (حس) ، ثم بني منه مادة (حسس) الذي يحمل مدلول الصوت الخفي ، ومدلول القطع ، قال ابن فارس: "يقال إن البرد محسّ للنبات"⁽²⁾؛ أي: مهلكة له . والبرد يتصف بصفة القطع ، وله صوت خفي . والغريب أن لفظ الاحتساء متعلق بما هو سائل ، وهو التحول الذي يصير إليه البرد من حجارة إلى ماء سائل.

(1) بالول أحمد ، المعنى الأصلي في ترجمة القرآن الكريم بين الفهم والوهم قراءة في ترجمة كلمة حاصبا، مجلة الباحث في الآداب واللغات، مخبر الدراسات النحوية واللغة بين التراث والحداثة، جامعة ابن خلدون تيارت ، العدد 12، نوفمبر 2015م، ص:35 وما بعدها.

(2) ابن فارس : مقاييس اللغة ، مادة (حسس).



وهذا يؤكد ما ذهب إليه النيسابوري بقوله : "ثم قرر أمر المذنبين بإجمال آخر يفيد أنه عذبوا بالعناصر الأربعة ، فجعل ما منه تركيبهم سبباً لعدمهم وما منه بقاؤهم سبباً لفنائهم..."⁽¹⁾ . والله أعلم.

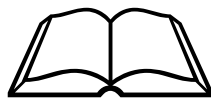
6. خاتمة:

فتحت ترجمة القرآن الكريم باباً واسعاً للاطلاع على تعاليم الدين الإسلامي ، ومكنت باحثين آخرين من التعرف على أسرار لم يكن العلم الحديث ليصل إليها لولا هذا التطور التكنولوجي ، كما دلت للقارئ الغربي سهولة التواصل مع النص القرآني من خلال المعاني المترجمة ، وهو في الحقيقة لا يجزئ عن معرفة أسرار ألفاظ القرآن

(1) النيسابوري (نظام الدين الحسن بن محمد) : غرائب القرآن و رغائب الفرقان تحقيق : الشيخ زكريا عميران ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان (ط1) 1996م ، 385/5.

الكريم، ولا بلاغته، ولا التناغم مع القيم التعبيرية لأصواته التي تهمز النفس هنا ، مما يقول بأن الترجمة لا يمكن بأي حال أن تفي بالمعاني الحقيقية للألفاظ، ولا تحقق حقيقة البيان العربي وروعته، وتأثيره في النفوس، وعليه خلص البحث إلى النتائج الآتية:

- ترجمة القرآن الكريم إلى كثير من اللغات فرضته شروط علمية ودينية وحضارية.
- يجب أن تشرف على ترجمة القرآن أكاديميات عربية وإسلامية لدرء كل الشبهات والتحريفات التي وقع فيها كثير من المستشرقين.
- تشجيع العمل الجماعي في ترجمة القرآن دون العمل الفردي اجتناباً لأي تقصير.
- على المتخصصين في ترجمة القرآن التركيز على دلالة الألفاظ في اللغة المصدر قبل ترجمتها إلى اللغة الهدف.
- ترجمة الدكتور حميد الله جيدة؛ غير أنها تحتاج إلى بعض المراجعات .



7. قائمة المصادر والمراجع

- (1) آل الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد: مقدمة، القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1420هـ.
- (2) الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان (ط1) 2001م.
- (3) الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان (د ط) (د ت).
- (4) البخاري: الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة بيروت، (ط3)، 1987م.
- (5) البوطي محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د ط) 1999م.
- (6) ابن دريد: جوهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي دار العلم للملايين، بيروت، لبنان (ط1) 1987م.
- (7) الرازي (فخر الدين محمد بن عمر التميمي): التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (ط1) (1421هـ، 2000م).
- (8) الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر - بيروت، (ط1)، 1996.
- (9) الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي): الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان (د ط) (د ت).
- (10) أبو زهرة محمد بن أحمد (ت1394هـ)، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، (د ط) (د ت).
- (11) ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية (ط1)، بيروت، لبنان 2000م.
- (12) الشاطبي إبراهيم بن موسى: الموافقات، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة بيروت، لبنان، (د ط) (د ت).
- (13) الطبري (محمد بن جرير): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة (ط1) 2000م.
- (14) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت، (د ط) (د ت).
- (15) ابن عادل (أبو حفص عمر بن علي الدمشقي): اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (ط1) (1419هـ، 1998م).
- (16) ابن عاشور (محمد الطاهر): التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس (د ط) (1997م).
- (17) ابن عطية (عبد الحق بن غالب): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان (ط1)، 1993م.
- (18) ابن فارس (أبو الحسين أحمد): مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (د ط) 1979م.

- (19) الفراهيدي (الخليل بن أحمد) : معجم العين ، تحقيق: مهدي المخزومي ن إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال (د ط) (د ت) .
- (20) القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية ، الدكتور محمد حميد الله ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية.
- (21) القرطبي (عبد الله محمد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن ، دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان (د ط) 1985م.
- (22) محمد محمود كانو، ترجمة القرآن الكريم بين الحظر والإباحة، جمعية دار البر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، (ط1)، 2001م.
- (23) مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب ، دار العلوم الإنسانية ، دمشق، سوريا، (ط2)، 1998 م.
- (24) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، (ط3)، 1414هـ.
- (25) النيسابوري (نظام الدين الحسن بن محمد) : غرائب القرآن و رغائب الفرقان تحقيق : الشيخ زكريا عميران ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان (ط 01) 1996م.
- (26) الموسوعة العربية العالمية، تأليف مجموعة من العلماء والباحثين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، (ط2)، الرياض ، 1999م.
- (27) مجلة الباحث في الآداب واللغات، مخبر الدراسات النحوية واللغة بين التراث والحداثة، جامعة ابن خلدون تيارت ، العدد 12، نوفمبر 2015م.

(28) www.chamila.com.

(29) <https://ar.wikipedia.org>



